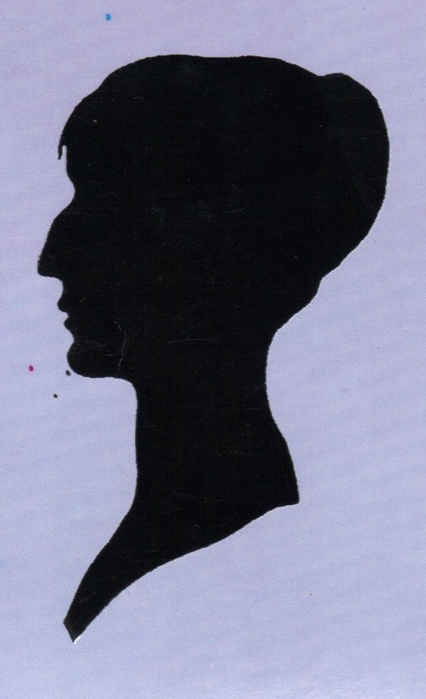
آنا آخماتوفا

قداس جنائزي

وقصائد أخرى





ترجمة

برهان شاوي

آنا آخماتوفا

قداس جنائزي

وقصائد أخرى

ترجمة

برهان شاوي

دار الكندي

٢٠٠٣

مقدمة

تُعد آنا اندريفنا آخماتوفا (١٨٨٩-١٩٦٦) واحدة من اهم الشعراء الروس على مرّ تاريخهم. ان عالمها الشعري ضيق ونحيل مثل شعاع من الضوء يسقط في غرفة مظلمة إنها شاعرة المساء، اليقظة، الوداع . لقد عاشت وماتت مثل الجميع في ظل الارهاب الستاليني، فقد أعدم زوجها الشاعر غوميلوف عام ١٩٢١ كما اعتقل ابنها مرات، وأرسل إلى معسكرات الاعتقال، أما هي فطردت من اتحاد الكتاب السوفيت، ومنعت من النشر لمدة زادت على العشرين عاما ، إلى مابعد الحرب العالمية الثانية.

لقد عاصرت آخموتوفا مسيرة الثورة الاشتراكية، ورأت كيف اختفت النساء، الشعراء ، الكتاب والفنانون، في أقبية المخابرات، وعاصرت موت الشاعر (أوسيب ماندلشتام) في أحد معسكرات الاعتقال ، انتحار مايكوفسكي، مقتل يسينين ، والمصير المأساوي للفنان المسرحي مايرخولد. والشاعرة الروسية الكبيرة مارينا تسفيتايفا .

مدخل :

لقد عاشت وماتت مثل الجميع لكنها عاشت بقوة وتألق وبقلق إبداعي جليل. وبعظمة تليق بشاعرة عظمية حقا. شاعرة أجبرت جلادها (جدانوف) ان يعترف بروعة شعرها من خلال شتيمة قذرة حينما قال: لاأدري.إنـهـا عـاهــرة وقـديـسـة فـي الـوقـت نفسه..تكتب شعرها مابين الملاءة والسرير. بينما قال عنها صديقها ورفيق دربها الشعري أو سيب ماندلشتام : أنا أخماتوفا حملت إلى الشعر الرومانسي هائلة. لما حملت اليه كل ثروات الشعر الرومانسي الروسي.

لاأريد هنا أن أتحدث عن أخموتوفا. وإنما سأدعها تـقـدم نـفـسـهـا بـنـفـسـهـا مــن خـلال هــذه الشهادة(الرسمية) التي كتبتها على طلب إحدى الموسوعات الشعرية الأجنبية: لذا تجنبت فيها أن تتحدث عن إعدام زوجها الشاعر جوميلوف وطردها من إتحاد الكتاب ومنعها عن النشر. واعتقال ابنها الوحيدة. كما امتنعت عن ذكر كل ماله صلة بقمع السلطة لها. وقد علقت بايجاز على مايمكن ايضاحه.

آنا أخماتوفا
شهادة شخصية
(١٨٨٩-١٩٦٦)
باختصار ..عن نفسي

لقد ولدت في ١١تموز من العام ١٨٨٩ في منطقة (بلشوي فونتان - النافورة الكبيرة)بالقرب من مدينة (أوديسا) كان أبي مهندسا ميكانيكيا في الأسطول البحري. ولم يكن عمري عاما حينما انتقلت عائلتي إلى منطقة (تسارسكوي سيلو- القرية القيصرية) في الشمال..وهناك عشت حتى بلغت السادسة عشرة. أولى ذكرياتي تعود إلى (تسارسكوي سيلو) : خضراء،حدائق ندية رائعة، حيث كانت مربيتي تذهب بي، ملاعب تتوسطها الجياد الصغيرة المبرقشة التي تنط، محطة قديمة ولاشيء آخر..كل ماجاء ذكره في قصيدتي الطويلة عن (شارسكوي سيلو).

كنت أقضي الصيف في منطقة (سيفاستويل) على ساحل البحر الأسود، وهناك بدأت علاقتي بالبحر.أكثر ذكرياتي وضوحا خلال هذه الفترة هي عن قرية (خير سونس) بالقرب من منتجعنا.

تعلمت القراءة من خلال كتاب(الألفباد)الذي وضعه للأطفال «ليف تولستوي» ومنذ الخامسة بدأت

تعلم الفرنسية سماعا من خلال الدوروس التي كانت تعطيها لي معلمة الفرنسية بمعية الأطفال الأكبر سنا.

كنت في الحادية عشر من عمري حينما كتبت أول قصيدة شعر. لم أبدأ الشعر مع بوشكين أو ليرمنتوف، وإنما مع قصائد درجافين ونكراسوف التي كانت أمي تحفظهما غيبا.

درست في ثانوية (تسارسكوي سيلو) للبنات .. كنت في البداية سيئة في الدراسة. لكنني تحسنتُ فيما بعد، لكنني لم أكن جيدة قط .

في العام ١٩٠٥ انفصل أبي عن أمي، فسافرت معها إلى الجنوب، وعشنا سنة كاملة في (افياتوري)، إذ درستُ في البيت من أجل التحضير لإنهاء دراستي التي انقطعت .

كنت أشتاق إلى (تارسكوي سيلو) فكتبت كما هائلاً من القصائد التي لاحول لها ولاقوة.وترددت أصداء ثورة عام ١٩٠٥ ضعيفة في الأقاصي التي كنت أعيش فيها.

أنهيت سنتي الدراسية الأخيرة في العام ١٩٠٧ بمدينة (كييف) وسجلت في كلية الحقوق، في صف النساء. لقد كنت متحمسة للدراسة لاسيما بدأنا بدراسة تاريخ القانون واللغة اللاتينية، لكن حماستي

فترت حينما توغلنا في النوص القانونية الجامدة فتركت الدارسة.

وفي نيسان(ابريل) من العام ١٩١٠ تزوجت من « نيقولاي غوميوف » (شاعر روسي مهم وصاحب ورشة الشعراء- م) وسافرنا لقضاء شهر العسل في باريس.

تجولت في الأزقة والحدائق الباريسية المتدفقة الحياة تلك التي وصفها (أميل زولا) (فيرنز) صديق أدبسون، أشار ذات مرة إلى طاولتين في أحد الأماكن قائلا: « هنا كان يجلس (البلاشفة) وهناك (المناشفة). النساء حينما كن قد بدأن لتوهن بلبس البنطلونات ..ودواوين الشعر كانت تشتري لوجود رسومات هذا الفنان أو ذاك عليها. عندما أدركت بأن الرسم الفرنسي قد إبتلع الشعر الفرنسي. وحين عودتي إلى (بيتربورغ) سجلت في الصف العالي لتاريخ الأدب. وفي هذه الفترة بدأت بكتابة أشعاري التي ضمتها مجموعتي الأولى .وحينما وقعت أمام ناظري مخطوطة (صندوق من خشب السرو) لانوكتين أنينسكي، كنت مذهولة، فقرأتها ناسية أي شيء حولي.

في هذا العام ١٩١٠كان واضحا أن (الرمزية) تعيش أزمة خانقة. وكنا رعيل الشعراء الشباب غير متحمسين للاقتراب من هذا التيار، فبعضنا اتجه

إلـى المسـتـقـبـلـيـة (فـوتـورزم) والـبـعـض الأخر إلـى (الأكـمـيزم- الـذروة الـروحـيـة) كـنـت مع رفـاقـي فـي الـورشـة الـشـعـريـة أمـثـال : مـانـدلـشـتـام، زنـكـيـفـج، ناربوت، قد أسسنا للإتجاه الثاني .

عـنـدمـا حـلَ ربـيـع عـام١٩١١ كـنـت فـي بـاريـس وشاهدت نجاحات أول باليـه روسي يعرض هناك. وفي العـام ١٩١٢ سافـرت إلى شمال ايطـاليـا (جنوة، بيزا، فلورنسا، بولونيا، فينيسيا). انطباعاتي عن فن الرسم والعمارة الايطاليـة كانت هائلة مثـل رؤيا يذكرها المرء طول العـمر. وفـي هذا الـعـام نـفـسـه صدرت لـي أول مجموعة شعرية باسم (المسـاء) ..وكانت قد صدرت بثلثمائـة نسخة فقط استقبلها النقاد بشكل طيب. وفي الأول من اكتوبـر هذا العام أيضا ولد ابنـي الوحيد «لـيـف» (الـذي سـيـعـتـقـل حـيـنـمـا يـصـبـح رجـلاً لمرات ومرات، ويـرسل إلـى معسكـرات الاعـتـقال فـي سيبريا وتكتب هي عنه أجمل قصائد الأمومة-م).

فـي آذار (مـارس) مـن الـعـام ١٩١٤ صـدرت مجموعتي الثانية (إكليل الورد) ولم تمرأكثـر من ستة أسابيع، ومع بداية حزيران بدأ الناس يغادرون المدينة، إنها الحرب. لقدبدا لناهذه المرة بأننا نودع (بيتربورغ) إلى الأبد. وفعلا حينما عدنا مرة أخرى، فلم نعد إلى (بيتربورغ) وإنما إلى (بيتروغراد)..ومن القرن التاسع

عشر دخلنا إلى العشرين، فكل شيء قد تغير حتى ملامح المدينة نفسها..وأصبحت مجموعة أشعار عن الحب لشاعرة شابة طي النسيان.نعم ..لقد تغير الزمن!!

لقد كنت أقضي فصول الصيف في أحد الأماكن على بعد خمسة عشر فرسخا من (بيجنسكا) ..إنه مكان قبيح.. فعلى مساحات واسعة من التلال حقول محروثة، طواحين، حدائق جدباء مستنقعات جافة، قناطر ..قمح ..قمح ..قمح..هناك كتبت معظم أشعار مجموعتي أشعار مجموعتي (السرب الأبيض).

هذه المجموعة صدرت في آب من العام ١٩١٧ وقد استقبلها النقاد بشكل غير مرض وعادل، لقد اعتبروها أقل مستوى من مجموعتي (إكليل الورد). أنا أعتقد أن هذه المجموعة ولدت في ظروف أشد قساوة، فتحى طرق المواصلات انقطعت في تلك الفترة وكان من الصعب ايصال أية نسخة منها إلى موسكو، فوزعت في (بيترغراد) فقط. حينها أغلقت الصحف والمجلات؛ لذا فقياسا لمجموعتي (إكليل الورد)لم يكن هناك ضجيج أو استقبال صاخب.

فالجوع والفوضى أخذا ينتشرا في كل مكان على نحو واسع، ومن الغريب اليوم ألا تؤخذ تلك الظروف بالحسبان.

وبعد ثورة اكتوبر أخذت أعمل في مكتبة المعهد الزراعي. وفي العام ١٩٢١ صدرت مجموعتي (مزاميرالراعي) وفي العام ١٩٢٢ صدرت مجموعتي (AnnoDamini) (ياعصرنا - كلمة لاتينية -م) (هنا تتجنب الشاعرة الحديث عن اعتقال زوجها الشاعر نيقولاي غوميولف، الذي كان ضابطا عسكريا والتحق بصفوف الجيش الأبيض، واعدامه رميا بالرصاص، وطردها على إثر ذلك من اتحاد الكتاب ومنعت من الكتابة والنشر لأكثرمن عشرين سنة لاحقة -م)

ومنذ منتصف العشرينات أوليتُ اهتمامي لفن عمارة (بيتوبورغ) القديمةولبوشكين، ونتيجة بحثي في (بوشكين) كتبت ثلاثة أعمال عن (الديك الذهبي) و(أودلف) لبنيامين كونستان وعن (الضيف الحجري) وقد نشرت هذه الأعمال جميعا فيما بعد، أما أعمال (الأسكندرانية) و(بوشكين وضفاف النيفا) و(بوشكين عام ١٩٢٨) والتي قضيت في كتابتها مايقارب العشرين عاما، والتي صدرت فيما بعد ضمن كتابي (مقتل بوشكين) المهم..منذ منتصف العشرينات، لم تنشر لي أية قصيدة جديدة.

في العام ١٩٤١وخلال الحرب العظمى تركت (بيتروغراد) التي صار اسمها (لينينغراد) ونقلت إلى

موسكو بالطائرة ..(إنها تتجنب هنا الحديث عن فترةالارهاب الستاليني ومقتل ماندلشتام ومايرخولد وعشرات الكتاب والفنانين .وقد كتبت هي عن هذه الفترة رائعتها (قداس جنائزي) التي تتصدر هذا الكتاب - م) ابتداء منذ حزيران العام ١٩٤٤ أخذت أعيش في طشقند ، وكنت اتتبع أخبار مدينتي ومايجري على جبهات القتال .ومثل بقية الشعراء. حينما سمح لي بقراءة الشعر علنا ، أخذت أقرأ قصائدي الوطنية للجنود الجرحى في المستوصفات العسكرية وفي طشقند عرفت لأول مرةماذا يعني ظل الشجرة في قيظ الظهيرة. وماذا يعني صوت خرير الماء في الجداول. . وهنا أيضا عرفت الطيبة الأنسانية.. وكذلك في طشقند مرضت مرضا شديداً وطويلا..وفي هذه الفترة طرت إلى موسكو مفعمة بالفرح بانتظار انتصارنا النهائي ..وفي تموز رجعت إلى ليننغراد.

وجه مدينتي الشبحي أرهبني، فكان لقائي بها نثرا..وفي هذه الفترة بدأت سلسلة مقالاتي : في ضيافة الموت) وهي عن قراءاتي للشعر في جبهات القتال والمستشفيات. لقد كان النثر يثيرني دائما وكنت أراه مليئاً بالأسرار؛ لذا حينما امتدح الجميع بداياتي النثرية ولم أثق بذلك.

إتصلت بالكاتب (زوشينكو) الذي نصحني بحذف هذه الجملة أوتلك، إلى أن أصبح هو راضيا عن النص ..لقد كنت سعيدة ولكن بعد اعتقال ابني حرقت كل مخطوطاتي وأرشيفي.. (هنا تتجنب أيضا الحديث عن إعتقالها، وطردها من اتحاد الكتاب مع الكاتب زوشينكو بقرار من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، ثانية -م)

لقد كانت أسئلة الترجمة الفنية تثيرني دائماً. .وفي السنوات الأخيرة ترجمت الكثير، وإنني أترجم حتى الان..وفي العام ١٩٦٢ أنهيت كتابة(قصيدة بدون بطل) والتي قضيت اثنين وعشرين عاما في كتابتها في الشتاء المنصرم، الذي كان عام دانتي، سمعت الكلام بالايطالية ثانية، إذ كنت في روما وسيسيليا. وفي ربيع هذا العام(١٩٦٥) سافرت إلى وطن شكسبير ورأيت السماء البريطانية والأطلنطي والتقيت بعدد من الأصدقاء القدامى وتعرفت على أصدقاء جدد ومررت بباريس.

أنا لم أهجر كتابة الشعر، ففيه أجد علاقتي مع الزمن، ومع الحياة الجديدة لوطني، فحينما كتبت اشعاري كنت أعيش تلك الايقاعات البطوليه لتاريخنا، إنني سعيدة لأنني عشت كل هذه السنوات

ورأيت كل تلك الأحداث الملتوية.

آنا أندريفنا أخماتوفا

١٩٦٥

قُداس جنائزي

بمثابة مقدمة:

خلال السنوات المرعبة لمحاكم الرهاب الستاليني كنت سجينةلمدة سبعة عشر شهراً ضمن طابور من النساء المعتقلات في أحد سجون لينينغراد؛ لأن ثمة شخص
ما وبشكل ماقد أعترف ضدي. وذات مرة كانت تقف خلفي أمراة مزرقة الشفاة.. وبالطبع لم تكن قد سمعت باسمي، ومن شدة الرعب والبرد همست في أذنيَ سائلة (إذ كان الجميع يتحدثون بهمس) :أتستطيعين أن تصفي كل هذا الذي يجري هنا؟
فأجبت :نعم!
وهنا أرتسم مايشبه البسمة على هذا الذي كان وجها ذات يوم .

لينغراد
الأول من نيسان
١٩٥٧

أهداء

أمام هذه الآلام تنحني الجبال إجلالاً..

وتتوقف الأنهار العظيمة عن الجريان

غير أن بوابات السجن ثابتة..

وخلفها «كهوف النفي»..

والوحشة القاتلة.

لأجل انسان ما تهب الريح الندية

لأجل انسان ما يتورد الشفق

نحن لانعرف شيئاً. فالأمر لنا سيّان

نحن لانسمع سوى قلقلة الأقفال

التي يغلق علينا بها عند النوم..

ووقع خطى الجنود الثقيلة.

إستيقظنا فجراً..

وكأنما علينا أن نذهب لصلاة القدّاس..

فأخترقنا العاصمة المقفرة..

تقابلنا هناك كالموتى ..

كانت الشمس منخفضة. ونهر (النيفا) يبدو ضبابيا..

وفي البعيد كان الأمل يغني ..

وفجأة..

صدر الحكم

فانهمرت الدموع من المآقي ..

كأنما أقتلعت الحياة من القلب..

كأنما اصطدم المرء بشيء ما..

أما هي فقد تمايلت ..وحيدة.

أين هنّ الآن. اللواتي أرغمتُ على صداقتهن

خلال أعوام اعتقالي؟

أية أحلام تراودهنَ الآن في عواصف سيبيريا؟

مالذي يتراءى لهنَ حينما يبزُ الهلال؟

إليكنَ إذن ياصديقاتي تحية الوداع.

آذار (مارس)

١٩٤٠

مدخل

كان هذا حينما ابتسم الميتُ

مبدياً فرحا هادئاً

حينما قادته ثرثرته البريئة

إلى سجون مدينته لينغراد .

وحينما جُنَّ من التعذيب

نفي إلى المعسكرات القصية

بينما أنشدت القاطرات أغنية الوداع صافرة

فوقنا تعلو نجوم الموت . .

بينما تلوَّت روسيا ألماً

تحت العقب الحديدية الدامية

وتحت قضبان عربات (الزمهرير الأسود)

التي تقل المعتقلين .

(١)

قادوك عند الفجر

فتبعتك كما يتبع المرء جنازة . .

بكى الأطفال في الغرفة المظلمة

بينما اتقدت الشموع في لوحات القديسين .

على شفتيك برودة الأيقونات . .

وعلى جبينك عرق الموت البارد . .

سأكون ، إذاً ، كإحدى نساء(الستريلشكيين)

اللواتي يتصاعد عويلهن عند جدران الكرملين .

(١٩٣٦)

(٢)

بهدوء يجري الون الهادئ . .

والقمر الأصفر يدخل إلى الدار . .

يدخل القمر بقبعة مائلة . .

ويرى ظلاما . .

هذه أمرأة وحيدة . .

الزوج في القبر، والابن في السجن . .

صلَو إذاً من أجلي .

(٣)

لا . . هذه لستُ أنا وإنما غيري . .

وماجرى يجب أن يغطى بوشاح أسود .

وأن تجمل المصابيح ليلاً .

(٤)

بودي أن أعرف بك أيتها الساخرة . .

يامحبوبة جميع الصديقات . .

ياأثيمة (شارسكوي سيلو) المرحة . .

مالذي يعصف بحياتك . . ؟

فمثل التي وقفت ثلاثمئة ساعة مع هديتك . .

ستظلين واقفة أمام الصليب

لتقهري بها ثلوج ليلة رأس السنة . .

وكما تهز شجرة الحور نفسها عند السجن . .

بلا صوت . .

سيزهق كم من الأرواح هناك !

(٥)

سبعة عشر شهرا أصرخ

أناديك كي ترجع الى البيت . .

ألقي بنفسي أمام قدمي الجلاد

أنت أبني . . وأنت رعبي

لقد ألقى العالم بنفسه في الفوضى . .

أنني لا أمتلك الوضوح . .

من أمسى وحشا من بقي انسانا؟

وهل سيكون عليَ انتظار لحظة الإعدام طويلا؟

هل الورود متربة فقط؟

هل للصوت فوح البخور . . وهل أثر؟

إلى أين . . من ليس (إلى أين) . . !

وفي أعماق عيني مباشرة

هناك قريباً من النهاية . .

أحمل معي نجمة هائلة .

(٦)

بخفة تطير الأسابيع

مالذي جرى . . لاأعرف . .

كيف حالك يابني وأنت في السجن؟

هل رأيتم الليالي البيضاء؟

كيف هن من جديد الليالي؟

إنهم، بنظرات ملتهبة وغاضبة

يتحدثون عن صليبك العالي . .

وعن موتك !!

(١٩٣٩)

(٧)

قــرار الحكـم

وهوت الكلمة الحجرية

على صدري الذي لازال يخفق . .

لاشيء . . لقد كنت أخمن ذلك :

لذا سأواجه الأمر بشكل ما . .

لدي اليوم أعمال كثيرة . .

يجب القضاء على الذاكرة . .

يجب أن تتحجر الروح

يجب معاودة الحياة ثانية . .

لا . . ليس المناجاة الصيفية الحارة . .

أو الأعياد التي تحت نافذتي . .

يوم هادئ . . وبيت مهجور .

(صيف ١٩٣٩)

(٨)

الى ...الموت

مادمتَ ستأتي. فلمَ ليس الأن؟

إنني أنتظرك . . إنني متعبة . .

لقد أطفأت النور، وفتحت لك الأبواب . .

أيها البسيط والساحر . .

إتخذ من أجل مجيئك شكلا ما . .

اقتحمني مثل قذيفة سامة . .

أو تسلل على القضبان مثل قاتل معترف

أو مثل أسطورة تخلقها أنت . .

لكنها معروفة للجميع لحد التقيوء . .

كي أرى أطراف قبعتك الزرقاء . .

وأرى حارس البيت شاحبا ومرتعبا . .

فكل شيء   سواء الآن

ونجمة القطب تتلألأ . .

وعيون أحبتي تشعُّ ضوءاً أزرق

وعذاباتي الأخيرة ترق

١٩أغسطس١٩٣٩

(٩)

غطى ُ الجنون نصف روحي بأجنحته

حينما كان يحتسي نبيذ النار . .

ملقياً بي في وديان الظلام .

أدركتُ بأنَ عليَ

أن أترك النصرَ له

مصغية إلى أشيائي

مثلما أصغي لهذيانات غريبة

فهولن يسمح لأي كان ، ولأي شيء

إنه سيحملني معه . .

(مثلما ابتهلت إليه كثيراً

من أجل هذا) :

ليست عيون ابني المرعوبة

التي تتقد ألماً . .

وليست ذاك اليوم حيث أرعدت السماء . .

وليست ساعة الزيارة في السجن . .

ولاالأكف الرقيقة الباردة . .

ليست الجفون التي ترتعش في الظلال . .

ولاالصوت الخفيف . . البعيد . .

إنما الكلمات . .

وحدها هي العزاء الأخير

(٤حزيران ١٩٤٠)

(١٠)

الصلب

«لاتبكي عليَ ياأمي . .

أنا هنا في القبر» !

(أ)

باركَ جوقُ الملائكة الساعة العظيمة .

وفتحت السماء أبواب النار :

خاطب الأب :

لماذا تركتني . .

ثم التفتَ إلى أمه :

«آه . . لاتبكي عليَّ»

(ب)

بكت المجدلية وارتعشت . .

وتحجرَ أعز الأتباع . .

أما هناك حيث وقفت الأم صامتة

فلم يجروءأحد على النظر

(١٩٤٣-١٩٣٠)

خاتمة

(١)

رأيتُ كيف تتهدَم الوجوه

وكيف يطل الخوف من تحت الجفون . .

وكيف أن بضعة خطوط مسمارية على الصفحات

تحفر الآلآم على الخدود!

كيف أن خصلات الشعر

تسطع فجأة كالفضة

بعد أن كانت رمادية وسوداء!

كيف أن البسمات تذبلُ

على الشفاه المستكينة

وكيف يرتجف الرعب نفسه

في الضحكات الجافة . . ؟

بينما أصلي أنا . . لالنفسي فحسب

وإنما للجميع . .

ولكل من وقف معي هنا

في البرد القارص، وفي لهيب تموز

عند الجدران الصفيحية الحمراء .

(٢)

وثانية تقترب ساعة التذكر . .

إنني أبصر ، أصغي ، وأحس بكم :

أنت يامَن قادوك نحو النافذة دفعاً

وأنت يامَن لن تطأ قدماك الأرض ثانية .

ثم أنتِ ياذات الرأس الجميل والمرتعش . .

يامَن قلتِ : «إنني هناكما في بيتي» . .

أودُ أن أسمي الجميع . .

غير أنهم خطفوا قائمة أسمائهن . . فعذرا

نسجتُ لهنَ وشاحاً عريضاً

من كلماتهن الشاحبة والبائسة

أتذكرهن دائماً وأبداً . .

وحتى في فجائعي المقبلة سوف أتذكرهنَ .

لن أنساهنَ حتى ولوأغلقوا فمي المرير . .

هذا الذي يصرخ بالملايين من الشعب . .

وهنَ فلتذكرنني أيضا . .

وليكن مساء يوم دفني . .

وإذا ماأرادوا ذات يوم

أن ينصبوا لي تمثالا . .

أن ينصبوه قرب البحر حيث ولدتُ . .

فلقد قصمت مع مواثيقي . .

وليس في الحديقة القيصرية حيث ردم المستنقع . .

فثمة ظلال تبحث لي أي باب . .

حيث كنت أرتعد خوفاً . . ووددتُ الموت

وودت نسيان قاطرات(الزمهرير الأسود) . .

ونسيان قرع الباب الكريه . .

وعويل تلك العجوز التي بدتْ كحيوان جريح . .

فدع تلك المآقي الحجرية الجامدة . .

ولتنَوح حمامة السجن بعيداً . . بعيداً

ولتبحر السفن في نهر (النيفا) بهدوء .

آذار (مارس) ١٩٤٠

*يعد النقاد المهتمون بالشعر الروسي أن قصيدة (قداس جنائزي) واحدة من قصائد القرن العشرين المهمة، من حيث أنها شهادة مرعبة على الإرهاب ولم تنشر لافي حياة الشاعر ولابعد موتها إلى أن إندثرت دولة الإتحاد السوفيتي.

ترجم نص القصيدة عن الروسية وقورن مع النص المترجم إلى الألمانية والصادر عن دار (أوبرباوم) في برلين في كتاب يحمل اسم القصيدة.

(١) النيفا: نهر شهير يمرمدينة بطرسبورغ

(٢) الزمهرير الأسود : (جورني مارزو) اسم القاطرات التي كانت تنقل المعتقلين إلى أعماق سيبريا.

(٣) السترلشي : هم الجنود الرماة الروس...في القرون القديمة.

*نشرت هذه القصيدة في جريدة الحياة اللندنية وكذلك في الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الظبيانية.

الملك ذو العيون الرمادية

المجد لكَ أيها الألم الذي لايهدأ . .

فلقد مات أمس الملك ذو العيون الرمادية . .

مساء خريفي . . مساءخانق . .

بينما قال لي زوجي العائد بهدوء :

«أو تعرفي ، أنهم ، ولحسن الحظ ، وجدوا الجثة .

عند جذع شجرة بلوط هرمة . .

مسكينة الملكة . . تلك الفتية أبيض شعر رأسها في

ليلة واحدة»

بين الأحجار وجد غليونه .

حينما مضى إلى عمله الليلي .

سأوقظ ابنتي الآن .

سأمس عيونها الرمادية

فمن خلف النافذة تهمس شجرة الحور:

«لقد رحل ملك عن هذا العالم»

(١٩١٠)

من مجموعة (المساء)

احميني أيتها الريح

أحميني . . أحميني أيتها الريح

فأحبابي لم يأتوا بعد

وفوقي يعلو مساء تائه

وكذلك أنفاس الأرض الهادئة . .

لقد كنت مثلك حرةً أيتها الريح . .

ولكنني تماديتُ في العيش أطول . .

وهانذا . .

جسدي بارد ويداي فارغتان لاأدري لمن أمدهما . .

أغلقي هذا الجرح الغائر الأسود .

ولملمي هذا الظلام المسائي

واسمحي للضباب الأزرق العالي . .

أن ينشد المزاميرالي . .

كي أنسل إلى أقاصي الحلم

بهدوء. . ولوحدي. .

هزي الشجرة العالية لتتمايل

لمقدم الربيع.

٩+١٩ (كييف)

من مجموعة (المساء)

*القصيدة في الأصل بدون عنوان

ذكرى الشمس

ذكرى الشمس في القلب تخبو . .

عشب أصفر

الريح تلوي الغصون الفتية

بصعوبة . . .

وفي القنوات الضيقة يتجمد الماء . .

فهنا أبداً لايحدث شيء . . أبداً . .

وشجرة الصفصفاف تمتد في السماء الفارغة .

كمروحة ثاقبة . .

لربما كان في سعدنا

إنني لم أصبح زوجتكَ .

فذكرى الشمس تنطفئ في القلب . .

في ليلة واحدة .

(١٩١١)

من مجموعة (المساء)

*نشرت القصيدة بدون عنوان

إلى الكسندر بلوك

لقد جئتُ الشاعر ضيفة . .

في منتصف نهار يوم الأحد . . !

الشمس القرمزية

فوق الدخان الأزرق الكثيف . . .

كم كان مضيفي الصموت

واضحا في نظرته إلي

عيناه

ينبغي أن يتذكرهما كل انسان . .

والأفضل لي، وأنا الحذرة

أحدق فيها أبداً .

لكنني سأتذكر حوارنا

والظهيرة الداكنة ليوم الأحد

في المنزل الرمادي العالي .

عند البوابات البحرية للنفيا .

(١٩١٤)

من مجموعة "إكليل الورد - القصيدة في الأصل بدون عنوان

ماعدتُ أبتسم

فالريح الجليدية تجمِّد شفتي . .

فقدت أملاً آخر . .

بينما ستكون هناك أغنية أخرى

للسخرية والشتيمة . .

مؤلم وممض للروح

هذا الحب الصوت

(١٩١٥)

من مجموعة (السرب الأبيض)

القصيدة في الأصل بدون عنوان

صلاة

أعطني أمرَّ سنوات المرض . .

الأختناق ، السهاد ، الرمضاء .

الاسم ، الطفل ، الدرب . .

من أجل أن يصبح الغيم .

هبني اسرار الأغاني . .

هكذا سأصلي من أجل آلآمك . .

الذي يغطي روسيا المكفهرة . .

سحابا وأشعة مجيدة

(١٩١٥)

من مجموعة (السرب الأبيض)

الهلاك المحبب

لقد جلبتُ لنفسي هلاكاً محبباً . .

بلايا واحدة إثر أخرى

فيالمصيبتي . . !

إنَّ هذه القبور

هي نبوءة لكماتي

ومثل غربان تحوم

يوخزني دمي النقي، الحار . .

وهكذا اغتصبتْ حبي .

أغنية وحشية بهيجة .

معك أحس بالعذوبة، وبالقيظ . .

فأنت قريب مثل القلب في الصدر . .

أعطني يدك . . واستمع بهدوء

إنني أتوسل إليك أذهب

ودعني لاأعرف أين أنت . .

لاتناديه . .

فسيكون ناكراً للجميل . .

إذا ماكان حيا .

وتنكر لحبي . .

(١٩٢١)

من مجموعة (Anno Domini)

نشرت القصيدة بدون عنوان

سألتُ اليمامة

كم تبقى لي من العمر . .

فأرتعشت قمم الصنوبر

وسقط شعاع أصفر على العشب . .

إنما لاصوت في الدغل الندي . .

وها أنا . . . . أعود للبيت . .

جبهتي ملتهبة . .

تمسها ريح باردة . .

(١٩١٩)

من مجموعة(Anno Domini)

الفصل في الأصل بدون عنوان

شجرة الصفصاف

نموت في السكون اللازوردي . .

في غرفة أطفال هذا القرن الفتي . .

لم أود سماع صوت الإنسان . .

بينما كنتُ أفهم صوت الريح . .

لقد أحببتُ النباتات الشائكة .

عشية(راعي الحمام) والقراص . .

بكرامة عشن معي كل العمر .

فهن يتأوهن معي . .

حين تولول أغصاني باكية . .

ويروحنَ عني ، حينما ينتابني الأرق . .

لكن . . ياللغرابة . .

عشتُ أكثر منهن . . !

هناك ثمة رغوة عالقة . .

لأصوات غريبة . .

لصفصافات أخريات يقلن شيئاً ما . .

تحت سمائنا . .

نفس السماء القديمة . .

وأنا أصمتُ . .

وكأنما ماتَ أخي .

(١٨يناير ١٩٤٠)

من مجموعة (اليراع)

كليوباترا

كم من ظلال الليالي الجملية

تضم قصور الاسكندرية؟

«بوشكين»

بعدما ماقبَلت شفتي انتونيوا الميتتين . .

وبعدما سكبت الد موع أمام القيصر الجديد . .

وحينما خانها الخدم والحاشية . .

تعالى ضجيج طبول النصر . .

تحت نظرات النسر الروماني

حيث تستعرض آخر الأسيرات جمالها . .

همس ذاك الفارع الطول بقلق : هيايا أنتِ . .

ومثل عبدة . .

يدفع هو بها للسير أمام ناظريه . .

بل . .

ولم يلتفت بعنقه حتى ولو فضولاً . .

غداً سيعتنون بالأطفال . . أه . .

لم يبق من الوقت إلا القليل . .

إذ عليها أن تتبادل المزاح من السادة الجدد . .

وبالأفعى السوداء . .

ألقت يداً غير مرتعشة . .

على ذلك الصدر الأسمر . . مودعة .

(٧شباط ـ ١٩٤٠)

من مجموعة (اليراع

قبو الذكريات

لا . . ليس صحيحا بأنني أعيش حزينة . .

وأن الذكريات تنسل مني . .

وأنني ضيفة مقيمة عند الذكرى . .

وأنها تعذبني . .

فحينماأهبط ، وبيدي فانوسي إلى القبو . .

يبدو لي ثمة صمت أخرس .

يدويَ على درجات السلم الضيق . .

ويتعالى دخان فانوسي . .

ولا أستطيع الرجوع

بينما أعرف بأنني ذاهبة إلى عدوي . .

فأرجو . .

وأبتهل . .

لكنً ليس هناك سوى الظلمة . .

والسكون . .

إذن . .

إنتهي احتفالي . . !

فماهي ثلاثون سنة قد مرَت . .

منذ أن قادوا النساء إلى هنا

وهنا . .

مات سيد الفجور من وهن الشيخوخة . .

لقد تأخرتُ . .

ياللفاجعة

ليس عليَ . .

أن أظهر في الأماكن العامة . .

لكني ألمس الجدران المرسومة

وأتلمس دفء الموقد . .

ياللعجب

فمن خلال هذا الجدار الرطب . .

هذا العذاب . . .

وهذه الحكمة . .

إتقدت زمردتان(خضراوتان) . .

ثمة قطعة تموء :

لنذهب إلى البيت . . !

أين بيتي؟بل أين عقلي؟

(١٨يناير ١٩٤٠)

من مجموعة (اليراع)

الظل

ماالذي تعرفه هذه المرأة عن ساعة الموت؟

«ماندلشتام»

دائماً لي أجمل الثياب .

دائماً المتفردة .

والأبهى بين الجميع . .

فلم تأتين من قاع السنوات القتيلة . .

والذكريات المفترسة . .

تتأرجح أمامي . .

بينما صورةوجهك الجانبية .

على زجاج العربةالمظلمة؟

وكما سألوا ذات مرة :

هل أنت ملاك أم طائر؟

أو كما وصفك شاعر :

أنت من القش . . !

ينهمر الضوء الشفيف

من عينيكِ القوقازيتين .

بأنسياب .

عبر أهدابكِ السوادء . .

أيها الظل . .

لكن السماء الصافية .

فلوبير . . .

السهاد .

ولليلك المتفتح . .

وأنتِ ، أيتها المرأة الثلاثينية .

ويومكَ العادي ، الخالي من السحاب .

كلها أهاجت ذكرياتي . .

فلا تنتصب مثل هذه الذكريات

أمامي . .

أيها الظل . . !

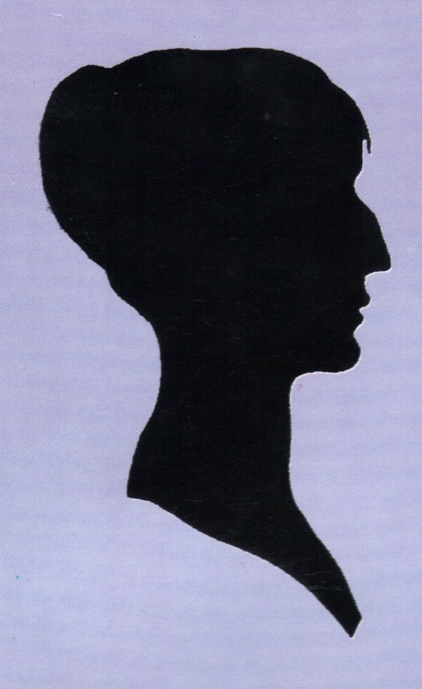
(١٩أغسطس ١٩٤٠)

من مجموعة (اليراع)

Anna Achmatowa

REQIEM

und andere Gedichte



تصميم الغلاف : رضا حسن

Übersetzung
von
Burhan Shawi